

الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي

إعداد

دكتورة/ فهدة بنت مُحَمَّد بن سعد الدوسري

مقدمة:

لا شك أن الهوية تشكل في جوهرها سمة هامة من السمات المميزة لأي مجتمع، من حيث إنها تجسد التراث الاجتماعي والثقافي الذي حملته، والطموحات المستقبلية التي يرنو إليها؛ فلا بد وأن تستند الهوية إلى أصول تحدد معالمها، ومعايير قيمة ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية تجعلها مركزاً للاستقطاب العالمي والإنساني (الجابري، ٢٠٠٦م، ص ١٩٨).

يفرض واقع التعدد والتنوع والتباين بين الهويات الثقافية بروز مسألة الهوية، باعتبارها من أكثر المسائل حساسية وتعقيداً بالنسبة لأية أمة، كونها بالأساس تُحدد وجهات النظر المتبادلة بين الثقافات المختلفة؛ "وغالبًا ما يتم التعامل مع هذه المسألة من منطلق الشعور بوجود أزمة في الانتماء، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو الجماعة، حيث ينصرف الانتماء إلى أبعاد معنوية أكثر منها مادية، وهي أبعاد وجدانية وشعورية وتاريخية" (مصطفى، ٢٠١٥م، ص ١)، لا تنفصل عن أبعادها الإيمانية والثقافية والفكرية.

وقد برزت قضية الهوية بالنسبة للمجتمعات الإسلامية في العصر الحديث وحتى العصر الراهن بفعل عوامل الانفتاح على الحضارة الغربية، وصولاً إلى عصر العولمة وثورة تقنية المعلومات والاتصال الحديثة، متخذة صوراً وأشكالاً عديدة" (عبد الرحمن، ٢٠١٠م، ص ٣)، لاسيما وأن هناك فروقاً واسعة بين الهويتين الغربية والإسلامية؛ فالهوية الغربية تستند إلى ثقافة مادية علمانية؛ في حين "تستند الهوية الإسلامية إلى الثقافة التي رسخها الإسلام على مدى قرون طويلة، والتي تشكل في محصلتها الكلية نظاماً اجتماعياً شاملاً لكل جوانب الحياة وقضايا المجتمع؛ فهي لم تترك صغيرة أو كبيرة في أي جانب من جوانب الحياة الدينية والدينيوية بلا تنظيم وإحكام، وكل شيء فيها إما موضح على سبيل العموم، أو مفصل تفصيلاً دقيقاً" (هاني، ٢٠١٤م، ص ٣٤٧)؛ فالثقافة الإسلامية تجسد هوية الأمة الإسلامية، وتميزها في شخصيتها، وتوجهاتها الفكرية، وأسلوب حياتها، كما تهدف إلى توفير مناخ إنساني مشبع بشمائل الإسلام وتعاليمه، على وجه ينبض بأسمى القيم والآداب، ويعم جميع مجالات الحياة (واغي، ٢٠١٤م، ص ٢).

وبما أن هويّة كل أمة تمتد بدءًا من عقائدها الدينية، وما يتشكل عنها من مظاهر وخصائص وسمات، كالأعياد، والممارسات الدينية، والأزياء والملابس، والعادات والطباع، والنظم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية وغير ذلك؛ فإن التعليم يعد الأداة الأولى والأهم لغرس الهويّة وترسيخ الشعور بالانتماء إلى الأمة في ضمائر الصغار والنشء، وتحويله إلى وعي خلاق ومبدع" (عدوان، ٢٠٠٨م، ص ٧٦)؛ ذلك أن التعليم هو حامل رسالة الأمة وحامي حضارتها وصانع أجيالها والأمين على هذه الأجيال، وهو أداة الإسلام المنظمة لتحقيق رسالته وأهدافه وتحويلها إلى نماذج حية، ما يجعله إحدى ركائز الأمة التي تحافظ على هويتها، وذلك بما يصنعه يعده من أجيال" (منصور، ٢٠٠٧م، ص ٥٩٥).

بيد أن هذا لا يعني أن الإسلام دين منغلق ويرفض الانفتاح على الآخر، بل على العكس من ذلك تمامًا؛ فرسالة الإسلام بطبيعتها الشمولية والعالمية لا تتعارض مع الانفتاح الثقافي، بل أنها تجيزه وتدعو إليه، وتعتبره أحد أبرز وسائل البحث عن الحكمة والعلم وعن خبرات الجماعات الأخرى، التي تساعد على التعرف على مكامن الخير وأصوله في كل جماعة لتنميتها والاستفادة منها لتشخيصه وتحديد وسائل علاجه، وعلى التعرف على مواضع الشر، لتجنبها والبعد عنها وكل ذلك يساعد على تحقيق الأهداف البعيدة التي يعمل الإسلام من أجلها وهي توحيد الإنسانية على عبادة الله ويكون الدين كله لله (عدوان، ٢٠٠٨م، ص ٣٦).

ولأن الإسلام هو دين الفطرة؛ فإنه يشكل بعالميته وشمولية رسالته دعوة خالصة إلى الانفتاح على ثقافات الآخرين، والتأثير فيها والتأثر الإيجابي بها؛ ذلك أن من طبيعة البشر وفطرتهم التفاعل والتبادل في كل مستويات العلاقات التي تنشأ بينهم، على أن الانفتاح على ثقافات الآخرين هو جزء لا يتجزأ من طبيعة البشر، من شأنه تحقيق ذلك التبادل والإخصاب الثقافي والحضاري بين الأمم والشعوب، على نحو يدفع بها نحو التقدم وإحراز النهوض الخلاق والمبدع، وإثراء معارفها وتطوير نظمها الاجتماعية فالانفتاح يُغني العقل، ويجرّه من أفقه المحدود، فكانت حركته تعبيراً عن ميل عميق في ذاته نحو التواصل مع الآخرين ومعرفة ما لديهم (زرمان، ٢٠١٤م، ص ١٢).

من هذا المنطلق؛ فإن تحقيق مقاصد الإسلام الشمولية والإنسانية يجعل من الانفتاح الثقافي مطلبًا جوهريًا في هذا السبيل، وذلك بالتوازي مع حرص الإسلام على استقامة حياة الفرد والمجتمع من خلال دعوته الأصيلة إلى العمل بمعايير التوسط والاعتدال، مؤكدًا على دور التربية والتعليم في تحقيق هذا التوازن بين مختلف الأضداد، دون تطرف ودون تفريط، فكلما كان التعليم ناجحًا ومتوازنًا فإنه يكون أقدر على تحقيق آمال الأمة وتطلعاتها (باحارث، ١٤٢٨هـ، ص ١٤).

وبناء على ذلك ترى الباحثة أن المؤسسات التربوية بل وكافة عناصر المنظومة التربوية هي المعنى الأول بتحقيق ذلك التوازن في تحقيق الانفتاح الثقافي، والحفاظ على الهوية الإسلامية، لاسيما وأن مقومات هذا التوازن متوفرة في روح وجوهر الرسالة الإسلامية، وبالتالي؛ فإن المدرسة هي المؤسسة الأولى التي يقع عليها مناط التأكيد في القيام بأعباء هذا الدور، خاصة في ظل ثورة تقنيات المعلومات والاتصالات.

التعريف بمشكلة البحث:

لا شك في أن المتغيرات المتسارعة التي يشهدها عالم اليوم، قد جعلت "الإنسان المسلم يعيش صراعًا مزدوجًا، يتمثل في جانب منه في صراعه مع ذاته للتعرف على هويته الحقيقية وتأكيداتها وترسيخها، وإعادة ربط حاضره ومستقبله بماضيه وثوابته وسعيه للتوفيق بينهما، ومن جانب آخر يتمثل بصراعه مع الآخر على كافة المستويات، ولأسباب شتى، ما يجعل صراع الهوية وأزمته من أبرز وأخطر القضايا التي تواجه الإنسان المسلم في ظل العولمة وثورة المعلومات" (خليل، ٢٠٠٩م، ص ٨).

بيد أن الأمر لا يتوقف على الأفراد فحسب؛ بل ينسحب أيضًا على المجتمع الإسلامي عمومًا، من حيث بات يواجه كافة تلك المتغيرات التي طالت جميع مجالات الحياة، على نحو فرض عليه مواجهة تحديات الانفتاح الثقافي، الذي صار له اليوم صده القوي وآثاره الواضحة في سلوك أفراد المجتمع الإسلامي وقيمه، ومؤسساته التربوية؛ مما يستدعي الوقوف على هذه الآثار ودراستها، وتقديم الحلول المناسبة وفق الرؤية التربوية الإسلامية" (القريشي، ١٤٢٩هـ، ص ٤).

وَتُعَدُّ التربية بمثابة أداة الأمة ووسيلتها لتحقيق أهدافها التربوية في بناء الإنسان وإعداده للمشاركة بفعالية في بناء الأمة وحماية هويتها العقدية وصيانة كيانها الحضاري، بما يعكس رسالتها ويحقق أهدافها وغاياتها، ويحافظ على تميزها واستمرارها؛ إذ يشير مفهوم التربية الإسلامية إلى ذلك "النظام التربوي الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على المسلمين، أن يربوا أنفسهم وأولادهم عليه ويوجهوا أهاليهم ويرعوهم بناء عليه، دون سائر النظم التربوية المخالفة لروح الإسلام وتعاليمه وشرائعه، وهو النظام التربوي الذي افترضه الله على حكام المسلمين والقائمين على شؤون التربية والتعليم ومؤسساته المباشرة وغير المباشرة، وأن يعملوا على تحقيق غاياته وأهدافه من خلال مختلف المؤسسات التربوية -على رأسها المدرسة- ومناهجها وأنظمتها وتطبيقاتها التربوية والتعليمية المختلفة" (النقيب، ١٩٩٧م، ص ١٨٤).

بيد أن لمسألة الهوية بعدد آخر غير مواجهة التحديات التي تفرضها مشروعات الهيمنة للهويات الأخرى؛ إنه ذلك البعد الذي يتعلق بضرورات الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى؛ فالإسلام في جوهره رسالة علمية تحمل في طياتها وأهدافها ومقاصدها الخير لكل الإنسانية، ولم يكن أبداً دعوة إلى الإنغلاق والإنزال والتمركز حول الذات ورفض الآخر والقطيعة معه؛ "فعلى مدى قرون طويلة أُلقت الثقافة الإسلامية بظلالها الوارفة على العالم، وضخت في عروق الحضارة الإنسانية دماء الحياة أبان عصور الظلام، ويشهد التاريخ على أنها كانت من أكثر الثقافات رحابة وعالمية، وأكثرها تجسيدا لمبدأ الانفتاح على الآخر، وذلك انطلاقاً من دعوة القرآن الكريم الملحة إلى السير في الأرض، ودراسة المدنيات القديمة، والتنقيب عن آثارها والنظر في عواقبها والاستفادة من منجزاتها (زرمان، ٢٠١٤م، ص ٣).

إن للانفتاح الثقافي أهمية تربوية جلية وواضحة الأثر على الأمم والشعوب؛ لما له من دور في تحقيق التجديد التربوي وفق المنهج الإسلامي، ليسير بالإنسان نحو الأفضل والأكمل ويؤدي لتطوير العملية التربوية في إطار حضاري، بعيداً عن الإنغلاق والعدائية والهمجية؛ ولأن تقدم الأمم يقاس بتربيتها وتعليمها، كما أن الأمة الإسلامية ومكانتها وتربيتها يجب أن يكون متميزاً عن باقي الشعوب لأنها تربية مستمدة من منهاج رباني عظيم وفلسفة تربوية واضحة، ومن ثم؛ فإن الانفتاح

الثقافي يجب أن يكون تحت إطار هذه التربية الربانية لتحقيق التميز للأمة الإسلامية على غيرها من الأمم (عدوان، ٢٠٠٨م، ص ٥١).

وعليه؛ فإن مشكلة البحث تتحدد انطلاقاً من إنه إذا كان يتعين تفعيل وتعزيز دور المدرسة وخصوصاً التربية الإسلامية، في مواجهة تحديات المواجهة والصدام مع الهويات الأخرى، لاسيما في ظل مشروعات العولمة الراهنة، والتحديات التي خلقتها طفرة تقنيات الاتصال والمعلومات التي حولت العالم إلى قرية صغيرة؛ فإنه يتعين أيضاً تعزيز وتفعيل دورها في تحقيق متطلبات الانفتاح الثقافي، مع التأكيد على أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد فحسب، بل يمتد إلى البحث في إمكانية تطوير وتفعيل الدور الذي يمكن أن تقوم به المدرسة في تحقيق ذلك التوازن المطلوب بين الانفتاح الثقافي من جهة، والحفاظ على الهوية الإسلامية من جهة أخرى.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث في إبراز الدور الذي تقوم به المؤسسات التربوية، وفي مقدمتها المدرسة في بناء وتكوين الأفراد وتمكينهم من الوعي بهويتهم، واكسابهم المعارف والقدرات التي تساعدهم على مواجهة تحديات الانفتاح الثقافي وآثارها السلبية التي يمكن أن تؤثر على أفكارهم وثقافتهم وانتمائهم لهويتهم الإسلامية. وكذلك تظهر أهمية البحث من خلال أهمية الكشف عن الطبيعة المزدوجة التي يتسم بها الانفتاح الثقافي؛ فهو من جانب يشمل تحدياً كبيراً يمكن أن تنجم عنه تهديدات مباشرة تمس الهوية الإسلامية لدى الأفراد والمجتمع على حد سواء، ومن جانب آخر، يشكل الانفتاح الثقافي ضرورة ملحة تنأى بالفرد والمجتمع الإسلامي عن الانغلاق والانعزال عن الثقافات الأخرى المغايرة.

أسئلة البحث:

يأتي هذا البحث ليجيب عن تساؤل واحد رئيسي، وهو: ما ماهية الانفتاح الثقافي في ضوء التربية الإسلامية.

ويتفرع من هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية، هي:

- ما مفهوم الانفتاح الثقافي؟
- ما أهمية الانفتاح الثقافي في ضوء التربية الإسلامية؟
- ما هي سلبيات الانفتاح الثقافي وإيجابياته؟

أهداف البحث:

- التعرف على مفهوم الانفتاح الثقافي.
- بيان أهمية الانفتاح الثقافي في ضوء التربية الإسلامية.
- معرفة سلبيات الانفتاح الثقافي وإيجابياته.

خطة البحث:

يأتي هذا البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، تدور أحداثهم جميعًا في فلك الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي، وذلك كالتالي:

المقدمة؛ وفيها بيان الموضوع ومشكلته وأهميته وأهدافه.

المبحث الأول؛ ويأتي بعنوان: الانفتاح الثقافي، مفاهيم ومصطلحات.

المبحث الثاني؛ ويأتي بعنوان: أهمية الانفتاح الثقافي في ضوء التربية الإسلامية.

المبحث الثالث؛ ويأتي بعنوان: سلبيات الانفتاح الثقافي وإيجابياته.

الخاتمة؛ وفيها أهم النتائج التي خرج بها البحث.

المبحث الأول

الانفتاح الثقافي، مفاهيم ومصطلحات

تمهيد:

أصبح الانفتاح الثقافي واحدًا من أهم الانشغالات التي يعنى بها الفكر الإنساني المعاصر، بالتوازي مع انشغالات أخرى بقضايا التنوع الثقافي، حيث اختلفت وجهات النظر إزاء هذا المفهوم؛ فقد اعتبره البعض عاملاً إيجابياً في حد ذاته من حيث يفتح آفاقاً رحبة لكل ثقافة من ثقافات العالم للالتقاء بالثقافات الأخرى، والمشاركة في صنع تراث ثقافي إنساني مشترك في سياق عمليات التبادل والحوار؛ فيما اعتبره البعض الآخر باباً لآثار الصراعات والنزاعات، لاسيما في ظل ما نتج عن العولمة من زيادة في نقاط التفاعل والاحتكاك بين الثقافات أدت إلى توترات وانسحابات ومطالبات تتعلق بالهوية (منظمة اليونسكو، ٢٠٠٩م، ص ١).

تعريف الانفتاح الثقافي لغة:

الانفتاح لغة:

والانفتاح في اللغة من (فتح) والفتح هو نقيض الإغلاق، فتحه، يفتحه، فتحًا، وافتتحه وفتحته، فانفتح وتفتح؛ والمفتاح: مفتاح الباب وكل ما فتح به الشيء" (ابن منظور، ٢٠٠٣م، ص ٥٣٦). والانفتاح عند الفيومي " فتحت الباب فتحًا خلاف أغلقته، وفتحته فانفتح فرجته فانفرج، وباب مفتوح خلاف المردود والمقفل" (الفيومي، ١٩٨٧م، ص ١٧٥).

وذكر ابن فارس أن الانفتاح "هو فتح الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق، يقال: فتحت الباب وغيره فتحًا" (ابن فارس، ١٤١١هـ، ج ٤، ص ٤٦٩).

تعريف الانفتاح الثقافي اصطلاحًا:

أما من الناحية الاصطلاحية؛ فالانفتاح مصطلح غربي يعبر عن طبيعة العلاقة بين الفكر العلماني والعالم، في مقابل الانغلاق الذي كانت عليه الكنيسة المسيحية تمارسه ضد العلم والفكر

الحديث (زمران، ٢٠١٤م، ص ١١). وعلى هذا، ترى الباحثة أن الانفتاح يعني الانكشاف والاطلاع على الآخر والتفاعل معه، بما يتناسب مع العقيدة الإسلامية في شتى مجالات الحياة. في الوقت نفسه؛ فإنه لا يوجد تعريف محدد وموحد للانفتاح الثقافي، نظرًا لتعدد وجهات النظر واجتهادات الباحثين في شأنه؛ فقد عرّف الانفتاح الثقافي بأنه "عدم اتخاذ الفرد موقفًا سلبيًا مما هو جديد عليه سواء ماديًا، أو معنويًا مجرد أنه جديد، بحيث يتقبل هذا الجديد، ويتفاعل معه حتى يثبت له بطرق معقولة عدم فائدة التعامل مع هذا الجديد" (ابن مانع، ١٩٩٢م، ص ١٠٠). وهذا المفهوم يتبنى أعمال العقل فقط دون أن يكون هناك ضوابط وقوانين للتفاعل مع هذا الجديد وتقبله، وهذا مغاير لمفهوم الانفتاح الثقافي الذي تحدده ضوابط شرعية تكون حصنًا منيعًا بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى.

تعريف الانفتاح الثقافي تربويًا:

"توظيف الأساليب الجديدة والمعاصرة الفعالة الإيجابية في المجالات التربوية مع التأكيد على الثوابت الأصلية للفكر الإسلامي" (الراشد، ٢٠٠٤م، ص ١). ويعرفه الجعفري بأنه "هو رفض التعصب والجمود العقلي مع القدرة على التقبل والتعامل والتفأول مع الآخرين بقصد الاستفادة مما هو جديد ومفيد سواء ماديًا أو معنويًا شريطة عدم تعارض ذلك مع مصادر الشريعة الإسلامية" (الجعفري، ٢٠٠٠م، ص ١٠١). وتتبنى الباحثة التعاريف السابقة، لأنه يؤكد على الاستفادة من العلوم الدنيوية أيًا كان منبعها ومصدرها، ما دامت لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، وترى أن هذا هو الأساس الذي يقوم عليه مفهوم الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي الذي يتصف بالشمولية والمرونة في كل زمان ومكان، فلا عجب في ذلك فهو فكر مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وبناء على ما سبق تعرف الباحثة الانفتاح الثقافي بأنه "الاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى غير المسلمة والاستفادة من علوم دنيوية نافعة يحتاجها المسلمون بما يتوافق مع مصادر الشريعة الإسلامية".

مصطلحات مرادفة لمصطلح الانفتاح الثقافي:

فيما يلي تعرض الباحثة مصطلحات مرادفة للانفتاح الثقافي منها:

■ التعددية الثقافية (التنوع الثقافي):

التنوع لغة:

"مشتق من مادة (ن وع)، يقال: تنوع يتنوع تنوعا، فهو متنوع، ويقال: تنوعت الأغصان أي تحركت وتمايلت، وتنوعت الأشياء أي تصنفت وصارت أنواعا، والتنوع: الصنف من كل شيء" (مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤م، ص ٩٦٤).

التنوع اصطلاحًا:

"يشير مفهوم التنوع إلى التمايز بين الأشياء والمخلوقات لاسيما البشر في الخصائص والصفات والبيئات؛ مما ينتج عنه التنوع في السلوك والعادات والتقاليد وأسلوب الحياة، والتنوع والتمايز في الخصائص والصفات والألوان لا يعني عدم التشابه فالبشرية تنتمي إلى أصل وجذر واحد مشترك، فالتشابه موجود، لكنه لا يلغي التنوع حتى داخل الأمة الواحدة" (عاطف، ٢٠١٤م، ص ٢٣).
فالتنوع هو الإيمان بالفروق الفردية واحترام خصائصها وصفاتها، وقيمها ومبادئها التي قامت على عقيدتها، فيتكون مجتمع متعاون متكاتف بعيد عن الصراعات والأزمات.

الثقافة لغة:

"إن جذر كلمة ثقافة هو: ثق ف، ولهذا الجذر معنيان رئيسيان متباينان في اللغة العربية: الأول: ثقف؛ قال الفيروز أبادي: ثقفه: أي صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه. الثاني: ثقف يثقف، ثقفا وثقافة: صار حاذقًا خفيقًا فطنا" (القاموس المحيط، ١٤١٦هـ، ص ١٢١).

الثقافة اصطلاحًا:

وفي الاصطلاح "الثقافة هي المخزون الحي في الذاكرة كمركب كلي ونمو تراكمي، مكون من محصلة العلوم والمعارف والأفكار والمعتقدات والفنون والآداب والأخلاق والقوانين والأعراف

والتقاليد والمدرجات الذهنية والحسية، والموروثات التاريخية واللغوية والبيئية التي تصوغ فكر الإنسان وتمنحه الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تصوغ سلوكه العلمي في الحياة" (ريا، ٢٠٠م، ص١٢).

فالثقافة هي مجموعة من القيم والأفكار والفلسفات التي تميز الأمم بعضها عن بعض، وتنتقل هذه الموروثات جيلاً بعد جيل، فهي نمط حياة المجتمعات بمختلف مؤسساتها، وهي أساس هوية الأمم، وبناء سلوك أجيالها.

■ تعريف التنوع الثقافي اصطلاحاً:

التنوع هو اختلاف الدول وتعدد شعوبها وتباين أجناسها وألوانها وألسنتها وأفكارها ومعتقداتها، والاختلاف لايعني التنافر والاختلاف مع الأمم الأخرى؛ بل هو تعارف وتعاون بما لا يتنافى مع عقيدة الأمة وموروثها الثقافي. ولذلك يُعرّف التنوع ويقصد به "التنوع والغنى في المجتمعات البشرية بنظمها المختلفة وأنماط معيشتها، وما تحويه من عادات ومعتقدات وممارسات وقيم، ويذهب البعض إلى اعتبار التنوع الثقافي في الحضارة الإنسانية مهما كما التنوع البيولوجي في البيئة الطبيعية، لا سيما وأن المخاوف تتنامى من تأثيرات العولمة وما يصاحبها من تنميط لثقافة النوع الواحد، أي ثقافة الجهة الغالبة والمتحكمة في وسائط الإعلام وفي مقدرات الاقتصاد والإنتاج" (معجم مفاهيم التنمية، ٢٠٠م، ص١٤٧).

إذاً هي اختلاف في العادات والقيم وأنماط المعيشة باختلاف البيئات وتعددتها، يحكمها نظام الأمة وتاريخها الثقافي، فهو تنوع ثقافي متجذر يحكمها الأمة الأقوى، وهذا أمر خطير يؤدي إلى تكوين أجيال لا تميز بين الحق والباطل، أجيال منبهره بالحضارة الغربية منسلخه من هويتها وحضارتها. وعلى هذا تعرف الباحثة التنوع الثقافي بأنه "الإيمان باختلاف البشرية وتعدد ألوانها وسماتها وموروثاتها الثقافية، والاعتراف بها دون تمجيدها والانقياد لها، بل البقاء تحت مظلة المصادر الشرعية؛ مما يحفظ هوية المسلم ويصون عقيدته".

ويتصل التنوع الثقافي بمفهوم التعددية الثقافية؛ ذلك أن كثيراً من يستخدم الرمزين كمترادفين في المعنى اللغوي والاصطلاحي.

■ تعريف التعددية الثقافية:

مفهوم التعددية الثقافية يحمل مفاهيم واسعة، يدخل ضمن مفاهيم تطوير المجتمعات التي تندرج تحت مظلتها التعايش مع الثقافات الأخرى في المجتمع ذاته، واحترام ثقافتهم، وهذا ما كفله الإسلام منذ ألف واربعمائة عام باحترام المستأمن، بما لا يتنافى مع العقيدة الإسلامية. فهناك من يخلط بين العقيدة والتعددية؛ مما يؤدي إلى صراعات وأزمات في بعض المجتمعات، فالتعددية تعنى بالتعامل مع الجماعات المتميزة ثقافيًا، إلا أنه لا يعني تعدد المكونات الثقافية للمجتمع، بل هو "يشتمل على قبول ورضا كافة تلك المكونات بواقعها المجتمعي المتعدد والاعتراف به رسميًا، وبناء على ذلك يتم إقرار آليات معينة في كيفية التعامل مع هذا التنوع الثقافي، وفي ظل توافر مثل هذا الاعتراف وتلك الآليات، يمكن وصف المجتمع بأنه تعددي يتبنى التعددية نخبًا للتعايش والتسامح ما بين مكوناته الثقافية" (سنة، ٢٠١٤م، ص ٦).

■ العلاقة بين الذات والآخر:

تعريف الآخر:

"المعنى العام لمفهوم الآخر هو المغاير، أي المختلف وكانوا يطلقونه على الأشياء، وأيضًا الحالات المعنوية، أن الآخر هو الذي يقابل الذاتي، والمشابه" (ذريل، ١٩٨٥م، ص ٢). ويقال أن الآخر هو الغير " والغير هو أحد تصورات الفكر الأساسية، ويراد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متغير عنه، ويقابل الأنا، ومعرفة الغير تعين على معرفة النفس" (معجم اللغة العربية، ١٩٧٩م، ص ١٣٢).

إن حدود العلاقة مع الآخر "تعني التعايش مع احترام الفروق بالنسبة للأفراد شعوبًا وقبائل وجنسيات ولغات وأديان على حد سواء، ولا يمكن أن تؤدي العلاقة مع الآخر دورها المنشود، إلا إذا تأسست على قاعدة احترام متبادل بين الأطراف المتجاورة، واحترام كل جانب لوجهة نظر الجانب الآخر، وإن لم يقبل به؛ لأن الهدف ليس الاتفاق الكلي، بل ربط العلاقات مع الآخر الأثر الفكري، وتمهيد طرق التعاون المثمر في شتى مجالات الحياة وترسيخ قيم التسامح واحترام

إنسانية الإنسان، بالبحث الجاد على القواسم المشتركة، التي تشكل الأساس للتعاون الفعال بين الأمم والشعوب" (أحمد، ٢٠١٥م، ص٣).

هذا؛ وإذا كان مقصود المؤلف في عبارة الإنسانية والتعايش مع الآخر هو انسلاخ الفرد من دينه وعقيدته، فهذا يرد، ولكن العلاقة مع الآخر هو الالتزام بتوجيهات مصادر الشريعة في احترام المغاير، وهي الاستفادة من ثقافتهم الدنيوية في شتى مجالات الحياة، مع بناء قاعدة وركيزة للأجيال القادمة تحميمهم من الانسلاخ والذوبان في مفاهيم وحدة الأديان والإنسانية.

■ مفهوم الخصوصية الثقافية:

تُعرّف الخصوصية الثقافية بأنها "تفاعل مجموعة من المكونات المتمثلة أساسا في العقائد والعادات والقيم الأخلاقية والاجتماعية، التي تأسهم في صقل شخصية فردية لها سماتها الذاتية، غير أن هذه الأخيرة لا تنفي ألبته إمكانية الالتقاء مع الثقافات الأخرى في بعض العناصر" (عواشيرة، ٢٠١٤م، ص٦).

ويشار إلى الخصوصية الثقافية بأنها "حميمية الإنسان والمجتمع المنتج والقيمة الذاتية للإنتاج الفكري والاجتماعي ونوعية الحياة المعاشة، وبالخصوصية الثقافية يكتسب كل مجتمع إنساني حقه المشروع في أن يكون مختلفا" (بوجلال، ٢٠٠٠م، ص٢٠٩).

فكل أمة من الأمم لها حضارة وثقافة منفردة عن غيرها من الأمم الأخرى، فالخصوصية الثقافية بوجه عام تتمثل في العقيدة واللغة والموروث المعرفي، فهي حصيلة عناصر تميز الأمم وتعطيها ملامح مغايرة تشكل هويتها الثقافية، وهويّة شعوبها، وهذا ما تميزت به الأمة الإسلامية.

المبحث الثاني

أهمية الانفتاح الثقافي في ضوء التربية الإسلامية

يشهد العالم اليوم تسارعاً مذهلاً في جميع الاكتشافات والثورات العلمية والثقافية، والتطورات التكنولوجية، والسباق الحضاري على الانفتاح على هذه الثقافات على أشدها؛ مما جعل أبناء هذه الأمة أمام خيارين أولهما لانفتاح المطلق على هذه الابتكارات التي سيؤدي إلى زعزعة عقيدتها وفقدان هويتها وذوبانها، ثانيهما التقوقع والانغلاق على ذاتها، لذلك تناولت الباحثة في هذا المبحث مشروعية الانفتاح الثقافي في ضوء التربية الإسلامية.

أولاً: موقف القرآن الكريم من الانفتاح الثقافي:

ف نجد أن القرآن الكريم كان ولا يزال يطلع أبنائه على الحضارات التي سبقتهم واندثرت، وعلى ديانات مضت، وعلى أمم معاصرة نشأة مع الإسلام، مثل الروم وفارس، ويسوق القرآن من قصصهم وحياتهم وسلوكهم وعاداتهم وفساد منهجهم ما فيه عبرة لأصحاب العقول، فعبر القرآن الكريم عن القوانين الاجتماعية، فنزلت الآيات على رسول الله ﷺ؛ لتنظيم علاقات المسلمين في مجتمعهم وفيما بينهم وبين الآخر، فانطلق المسلمون على مر العصور متعايشين مع غيرهم من مختلف الثقافات والشعوب والاجناس انطلاقاً من آيات القرآن الكريم التي بين قواعد الانفتاح الثقافي ووضع أسسه.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: ١٣]، والمعنى: "يقول تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوباً وهي أعم من القبائل وبعده القبائل مراتب أحر كالفصائل والعشائر والعماير والأفخاذ وغير ذلك وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل، فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطيبية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء وإنما يتفاضلون بالأموال الدنيوية وهي طاعة الله تعالى ومُتَابَعَةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ النَّهْيِ عَنِ الْغَيْبَةِ

وَاحْتِفَارَ بَعْضِ النَّاسِ بَعْضًا مُنْبَهًا عَلَى تَسَاوِيهِمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " أَيُّ لِيَحْصُلَ التَّعَارُفُ بَيْنَهُمْ كُلٌّ يَرْجِعُ إِلَى قَبِيلَتِهِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ " لِتَعَارَفُوا " كَمَا يُقَالُ فُلَانٌ بِنَ فُلَانٍ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَيُّ مِنْ قَبِيلَةٍ كَذَا وَكَذَا " (ابن كثير، ١٤١٧هـ، ص ٥١٥).

وقد "خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى، أنسابًا وأصهارًا، وقبائل وشعوبًا، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل للحكمة" (القرطبي، ١٣٨٤هـ، ص ٣٢٤). وعند آخر: "جعلناكم شعوبًا وقبائل وبطونًا وأفخاذًا وفصائل، كل هذا لحكمة التعارف، فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان الآخر، ولكن جعلكم شعوبًا وقبائل وعائلات وأسرا، لحكمة التعارف المقتضي للتعاون، إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح سعيد" (الجزائري، ١٤٢٩هـ، ص ١٣١).

"يخبر الله تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرَّقهم وجعلهم شعوبا وقبائل؛ أي: قبائل صغارا وكبارا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون" (السعدي، ١٤٢٢هـ، ص ٩٤٦).

وقد أكد القرآن على جواز التعامل مع غير المسلمين، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا تَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [ال عمران: ٦٤]. "نجد أن القرآن أجاز ائتمان أحدهم على المال، كما وجاز أن يستطب المسلم على يدي الكافر إذا لم يجد ضالته عند المسلمين، كما أجاز أخذ علم الطب وغيرها من العلوم من كتبهم، فهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة" (التويم، ١٩٩٧م، ص ١٤١).

وترى الباحثة أن هذه الاستفادة من غير المسلمين والانفتاح الثقافي على مختلف الثقافات يجب أن يستند على قيم ثابتة نابعة من مصادر الشريعة منسجمة مع قوانين الفطرة محترماً للعقول البشرية، سامحه للاتصال والتفاعل مع الآخرين، والأخذ بما يفيدها وحمايتها من الذوبان فهذه ثوابت إسلامية يحرم المساس بها مهما كانت الغايات والمبررات.

ويستلزم هذا التعاون والتعاقد الاجتماعي بين الثقافات المختلفة الذي يؤدي إلى التفاهم والاعتماد على أسلوب الحوار والتشارك الفكري، وهذا لا يتم إلى إذا قامت علاقة عقدية صحيحة بين الإنسان وربه، ليتكون نظام عادل يسوده الهداية والرحمة والأخلاق، وهذا ما نجده في القرآن الكريم الحث على الانفتاح الإيجابي في مواضع عديدة من خلال تكوين عقلية واعية أمام الثقافات المختلفة مع الحفاظ على العقيدة الصحيحة من خلال عدة أمور منها:

طلب العلم: وإن للعلم مكانة عظيمة في ديننا الحنيف، وحث الإسلام أبناءه على طلبه، فقدّم دعوة صريحة للعلم والتعليم، وأول آيات القرآن: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) [العلق: ١-٤].

فالعلم نور البصيرة، إنه نور يبصر به المرء حقائق الأمور، وليس البصر بصر العين، ولكن بصر القلوب، ولذلك جعل الله الناس على قسمين: أما عالم أو أعمى. والعلم ركيزة من ركائز الإيمان بالله تعالى، وكلما ازداد المسلم علماً ازداد إيمانه، ولقد بيّن الله سبحانه فضل العلم في القرآن الكريم في آيات كثيرة، قال الله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: ١٨]. وبيّن الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسيره أن هذه خصوصية عظيمة للعلماء؛ لاقتران شهادتهم بشهادة الله جلّ جلاله، وشهادة الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام. و"في هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، كفى بذلك فضلاً، ومنها أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصِفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحُجَّةً على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إلهاده تعالى أهل العلم

يتضمّن ذلك تزكيّتهم وتعديلهم، وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه" (السعدي، ١٤٢٢هـ، ص ١٢٩).

حيث يجب التعلّم بالعلوم التي تصلح الحياة ولا تفسدُها، وتحفظ الأنفس من التهلّكة، وتحمي البلاد والعباد من الأذى والعدوان. وإن "الطرق المشروعة لتحصيل المال واستثماره على الوجه الذي ينظّم موارده ومصادره، ويمنع التحكّم والاحتكار، ويزيل الحقد والغلّ من النفوس علم يجب التعرّف إليه والتسلّح به، والتعرّف على الصناعات بأنواعها التي تيسّر للإنسان سبل الحياة، وتمكّنه من الانفتاح بالقوى الكاملة فيما خلق الله، علم مطلوب منّا الوقوف عليه" (بدران وحبيش، ١٩٩٩م، ص ١٣).

و"العلوم الدنيوية منها ما هو فرض عين كالطب"، وذكر مالك بن دينار "مَنْ لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتي منه لا ينفعه" (النووي، ١٤١٢هـ، ص ٢٣٣).

وترى الباحثة أن طلب العلم واجب على أبناء الأمة الإسلامية للنهوض بأمّتنا، وإعادة سطوع حضارتنا كما كانت في السابق، فالعلم هو طوق النجاة من الغرق الذي نعيش فيه، وهو الوسيلة للانفتاح على الثقافات الأخرى، والحصانة للأجيال عقدياً وفكرياً من أيّ ملوثات ثقافية تتنافى مع هويتنا الإسلامية.

ثانياً: موقف السنة النبوية من الانفتاح الثقافي:

تضع السيرة النبوية المعالم البارزة للانفتاح الثقافي على الأمم الأخرى، وهذا يدل أكثر عندما استفاد المسلمون من أسرى المشركين في غزوة بدر في تعليم أبناء المسلمين الكتابة، ونجده -صلى الله عليه وسلم- يحث المسلمين على تعلّم كل علم ينفع الإسلام وأهله، ولو كان من عند غير المسلمين، قال -ﷺ-: "الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقّ بها" (أخرجه الترمذي، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٢٦٨٧).

وضع لنا الرسول الكريم الطريق الممنهج لكيفية الانفتاح على الثقافات الأخرى دون حرج لجلب المصالح الفكرية والعلمية لبناء حضارة هذه الأمة. والأدلة على جواز الانفتاح الثقافي بضوابطه في السيرة النبوية كثيرة منها:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "كتب النبي - صلى الله عليه وسلم - كتاباً أو أراد أن يكتب، فقبل له إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا محتوماً، فاتخذ خاتماً من فضه نقشه (مُحَمَّد رسول الله)، كأني أنظر إلى بياضه في يده" (البخاري، ١٤٢٨هـ، ج ١، رقم ٦٥، ص ٢٤).

ومن الشواهد أيضاً ما روي عن جذامة بنت وهب الأسدية أنها سمعت الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لقد هممتُ أن أنهي عن الغيلة حتى ذكرتُ أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم" (مسلم، د.ت، ج ١، ص ١٠٦٦).

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان، فقام - صلى الله عليه وسلم - فإذا حبشية تزفن والصبيان من حولها، فقال: "يا عائشة، تعالي فانظري" (الترمذي، ١٩٩٨م، ج ٥، ص ٦٢١). في هذا الحديث دلالة على إقرار الرسول - صلى الله عليه وسلم - التعبير عن الثقافات الأخرى والتعامل الإيجابي معها.

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: "حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" (سنن أبي داود، ١٩٨٢م، ج ٣، ص ٣٢٢)، يدل هذا الحديث على الحث على الاطلاع على الثقافات المختلفة، وكيفية التعامل معها دون تضييق في الحديث عنهم والنظر إلى كتبهم وعلومهم والأخذ منها بما لا يتنافى مع العقيدة الإسلامية.

ولم يكن حفر الخندق معروفاً عند العرب، بل كان من فنون الحروب عند الفرس، فأشار بهذه الفكرة سلمان الفارسي، فقال: يا رسول الله، "إنا كنا بفارس إذا حُوصرنا خندقنا علينا، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحفره، وعمل فيه بنفسه" (الطبري، ١٤٠٢هـ، ج ٧، ص ٣٩٣).

ونجد أنه قد وجّه زيد بن ثابت - رضي الله عنه - لتعلّم السريانية، فعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أنه قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أتحسنُ السريانية؟"، فقلتُ: لا، قال: "فتعلّمها، فإنه يأتينا كتب"، فتعلّمتها في سبعة عشر يوماً (الألباني، ١٤١٥هـ، ص ٣٦٤).

إن انفتاح الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الثقافات الأخرى، والدعوة إلى الاستفادة منها في المجالات الدنيوية دلالة على النظرة الإيجابية في تحقيق مصالحها لبناء الحضارة وقيامها وانتشارها. وقد

انعكس هذا الانفتاح الإيجابي على تاريخ الأمة الإسلامية، فنجد أنهم عندما أنتشروا لأداء فريضة الدعوة إلى الدين الإسلامي، في مشارق الأرض ومغاربها صادفوا حضارات وثقافات لم يطمسوها أو يدمروها بل أخذوا ما فيها من نفع وفائدة متناسبة مع عقيدتهم الإسلامية في زمن كانت الحضارات لا تخاطب إلى أبنائها وعلمائها بفوقه وعلو.

وهذه دلالة على أن الإسلام دين مرن متوازن قادر على نشر ثقافته بين مختلف الألوان والأجناس والشعوب مع احترام خصوصيتها وحمايتها في مواجهة الثقافات المختلفة.

ثالثاً: أهمية الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي:

سار الصحابة الكرام ومن جاء من بعدهم على منهج القرآن والهدي النبوي في الانفتاح على الثقافات الأخرى بعد ما فتحوا بلاد فارس والروم، فنجد أنهم اقتبسوا من حضارات الأمم التي افتتحوها في المجالات الدنيوية العديد من العلوم والنظم التي لم يكن لهم سابق علما بها.

مضى المسلمون في الانفتاح الثقافي الشامل، الذي جعلهم ينقلون العلوم ويترجمون الكتب إلى العربية من علوم الرومان واليونان في آواخر الدولة الأموية والدولة العباسية والمطلع على هذه التراجم يجد لديهم الشغف والحرص على الاطلاع على الثقافات الأخرى، وتحصيل ما لديهم من علوم دنيوية متوافقة مع مصادر الشريعة الإسلامية. فنجد أن عمر - رضي الله عنه - اقتبس من الحضارات ما ينظم به أمور الدولة الإسلامية.

"لما قدم أبو هريرة - رضي الله عنه - من البحرين إلى المدينة أخبر عمر - رضي الله عنه - بأنه جاء بمال كثير يُقَدَّر بخمسمائة ألف درهم، نادى في الناس - رضي الله عنه - وجمعهم وأخبرهم بمقدم أبي هريرة، وما أتى به من المال الكثير، وقال لهم أن شئتم كلنا لكم كيلاً، وإن شئتم عددنا لكم عدداً، شئتم وزننا لكم وزناً، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت الأعاجم يدونون ديواناً، فدوّن لنا أنت ديواناً، فدوّن عمر بن الخطاب الديوان" (البلاذري، ١٤٠٨هـ، ص ٤٣٦).

والباحث في تاريخ الفكر التربوي ليجد اهتمام أسلافنا وعلمائنا بتعلم العلوم ونقلها إلى الأجيال القادمة، نجد أن هارون الرشيد إذا ما انتصرت جيوشه في معركة يقصر طلبه عن تعويض خسائر الحرب على تسليمه نفائس الكتب حتى تترجم إلى العربية وينتفع بما فيها من معلومات،

وقد سلك ابنه المأمون مسلكه في نقل العلوم والمعارف، حيث إن سلاح المسلم العقلي هو تدعيمه بقراءة الكتب وتعلم العلوم، فلما أسر المسلمون عددًا كثيرًا من الصينيين وكانوا ذوي خبرة في صناعة الورق خيّرهم الحاكم بين الاسترقاق وبين تحريرهم، بشرط تعليم العرب صناعة الورق، حتى تعلّم المسلمون هذه الصناعة، وأصبحوا المتخصّصين بتلك الصناعة في عهد الخليفة المنصور، وكان هذا نهج المسلمون الأوائل الذين ساروا عليه في بناء الحضارة الإسلامية على هدى أقرانهم في الاطلاع على الثقافات المختلفة، وتدوين العلوم اللتان كان لهما دور بارز في النهوض بالحركة العلمية يجد انفتاح المسلمين الأوائل على الثقافات الأخرى.

فقد بدأ المسلمون حركة الترجمة والنقل مبكرًا جدًّا، فتمت الحركة في عهد خالد بن يزيد الأموي، فقد أخذ في نقل العلوم اليونانية إلى اللغة العربية وتطويرها وتعليمها، وخاصّةً في مجال الأدوية والطب والمعادلات الكيميائية.

لذا نرى حضارتنا الإسلامية على مدى ثمانية قرون أعطت الحضارات بوفرة وكرم، وأثّرت وتأثّرت بالحضارات في كثير من العلوم المختلفة، ونقل العرب إلى الهند والصين أثناء صلّتهم بها قسمًا كبيرًا من معارفهم العلمية كما دخلت علوم العرب وثقافتهم إلى الصين على أثر الغارة المغولية، فوجد أن الفلكي الصيني كوش وكينغ في سنة (١٢٨٠) بترجمة رسالة ابن يونس في الفلك، ونشرها في بلاد الصين، وكانت ترجمات كتب العرب وثقافتهم العلمية المصدر الوحيد العلمي للتدريس في الجامعات الأوروبية نحو عدة قرون، وظلت الحضارة الإسلامية شامخة صامدة في انفتاحها دون أن يتأثر منهجها القويم، واستفادت الحضارة الإسلامية بما عند الثقافات الغربية من علوم دنيوية، وهذا دليل على عظمة الإسلام الذي استوعب جميع البشر والشعوب، ولم يبنذ إلا ما هو ضارٌّ ومخالف لشريعته.

إن انفتاح علماء المسلمين الأوائل كان انفتاحًا ثقافيًا ينطلق من العزة بالإسلام، ويتّسم بهويّة إسلامية لها قيم ومبادئ، رسمها لهم رسول الأمة - ﷺ -، أخضع الانفتاح لعملية نقد وتمحيص، ثم التطوير والإضافة المتماشية مع العقيدة الإسلامية.

وقد سلك المسلمون منهج قويم في نقل العلوم والمعارف من الحضارات المختلفة، بعدم الأخذ بقوانينها، ولم يترجموا الإلياذة، ولا الأدب أو الشعر اليوناني، وكفاهم معرفة وعلم تدوين الدواوين وترجمة العلوم الطبيعية، ونجد أنهم انفتحوا على الحضارة الفارسية، لكنهم تجنّبوا مذاهبها الفاسدة واستفادوا من التراتيب الإدارية عندهم، كما انفتحوا على الحضارة الهندية، لكن تجنّبوا فلسفتها وأديانها وعقائدها وأخذوا حسابها وفلكها، وأضافوا إليه الكثير، وإن ما استفاده المسلمون من الحضارات الأخرى يُعدُّ مزية تُحسب لهم وليس عيبًا، فهذه دلالة على تفتُّح العقل المسلم، واستعداده لتقبُّل ما لدى الآخرين، من علوم تبنى الأمة وتعمل على تقدمها بين الأمم.

ويتبين ممَّا سبق أن المسلمين نهلوا من الثقافات والحضارات المختلفة ما اتفق مع الدين القويم، وما فيه منفعة لهم في الحياة الدنيوية بضوابط راسخة، مع رفضهم سائر القيم والمبادئ المخالفة للعقيدة السليمة، إلا أن القرون الأخيرة شهدت حالة من الهوان والضعف والتبعية والانتقال من أمة قائدة إلى أمة تابعة، وذلك بسبب ضعف الانتماء وفقدان الهوية. مما جعله أخطر من الغزو الخارجي؛ لأن التابع يتخلى عن قيمه وثقافته وهويته طائعًا مختارًا، ثم يهرع وينبهر بالآخر ويقلده في الفكر والسلوك، مما يجعله منسلحًا من آمال أمتة وآلامها وتاريخها وبطولاتها ولغتها، فنجده يدعو غيره أن يلتحق بهذا الركب كما التحق.

المبحث الثالث

سلبيات الانفتاح الثقافي وإيجابياته

أولاً: سلبيات الانفتاح الثقافي:

إن ما يشهده العالم المعاصر من ثورة تقنية معلوماتية كبيرة، جعلت انتقال الثقافات بين المجتمعات المختلفة أمر في غاية السرعة والسهولة، وإن كان لهذه الثورة من إيجابيات فلها العديد من السلبيات بسبب قلة وجود الحواجز على الفكر والثقافة، وإن الإشارة إلى سلبيات الانفتاح الثقافي، تعني الإشارة إلى القيم الهابطة، والآثار السيئة والأفكار الهدامة لكي يخضع المسلمون للغرب، وهذا الخضوع لا يتم إلى بإبعاد أبناء المسلمين عن كل ما يربطهم بعقديتهم، وكلما بعدت المسافة بين المسلم وإسلامه كان أكثر خضوعاً، وبالتالي؛ أكثر ميلاً أو تحولاً إلى عقيدة أعداء دينه، وهذه أكبر الأسلحة التي يحارب بها الإسلام (العدوي، ١٩٨١م، ص ١٤). ويمكن الحديث عن سلبيات الانفتاح الثقافي من خلال النقاط التالية:

١. الغزو الفكري:

إن المتطلع إلى أحوال المسلمين اليوم يجد أنهم يواجهون أشد التحديات التي لم يواجهها أي دين أو عقيدة من العقائد، على أن من أخطر هذه التحديات هو الغزو الفكري الذي تواجهه المجتمعات الإسلامية، وقد أصبح الغزو الفكري الثقافي اليوم من أشد القضايا خطراً على قلوب الكثير من أبناء المسلمين وعقول، والسلاح الذي يستعمله هذا الغزو هو سلاح عقلي فكري يؤثر في الأمم والمجتمعات أكثر مما تؤثره الأسلحة القتالية، على أن الخطر الذي يمثله هذا الغزو هو انحطاط أمم وتدميرها، وأجيال متعاقبة كذلك، وسلاحه في ذلك هو بث الشبهات وتحريف الكلام، والخديعة في العقائد والهويات؛ حتى يصبح جيلاً تابعاً ذليلاً لا يستطيع بناء أمته وحضارته. ولكل غزو فكري منظم أهداف تهدف إلى ضياع الأمة المغزوة، فكريا وسلوكيا وعقائدياً ومن هذه الأهداف مايلي:

١. أن تظل الشعوب المسلمة خاضعة لنفوذ القوى المعادية لها، تلك القوى التي تتمثل في عدد محدود من الدول الكبيرة التي تحمي بعضها بعضا، ويتبادل حكامها الدفاع عن مصالحهم.
٢. أن يظل أبناء الدول الإسلامية والدول النامية تابعة لتلك الحضارات تبعية فكرية غير متطورة وفي هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكائها، فلا تستطيع تلك الشعوب الحرية والاستقلال بينما هي تسرف في قيود الذل والتبعية، وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أن تكون عاجزة عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهي دائرة في فلك دولة كبيرة واهمة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية.
٣. أن يتبنى أبناء الأمة الإسلامية أفكار أمة أخرى دون نظر فاحص وتأمل دقيق، مما يؤدي إلى ضياع حاضر هذه الأمة وتبديد مستقبلها وصرفها عن منهجها وعقيدتها، وما يترتب على هذا الصرف من ضياع، إذ لا يوجد نظام سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الالهي الشامل المتكامل في كل زمان ومكان.
٤. أن يكون هذا الفكر حاجزًا بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها وحضارتها وسير الصالحين من علمائها ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة وسير اعلامها وقادتها.
٥. أن تزاخم لغة الغالب اللغة العربية، فضلا عن أن تحل محلها أو تحاربها بإضعافها بإحلال اللهجات العامية محلها، من باب تسهيل فهم هذه اللغة، فإن إضعاف لغة الأمة هو إضعاف لفكرها وقوتها.
٦. أن تسود الأمة الإسلامية، أخلاق الأمة الغازية وأفكارها وعاداتها وتقاليدها.
٧. تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف والرجعية وعدم قدرتها على إمداد الحضارة بشيء مفيد، لأبنائها وأنه لم يكن لهذه الحضارة فضل على الحضارات التي جاءت بعده.
٨. إضعاف القيم الإسلامية، وإثبات تفوق القيم الغربية، وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر والتخلف.
٩. إحياء الدعوات القومية وآثاره النعرات والخلافات بين الشعوب لإضعاف روح الاخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف الأقطار.

١٠ . اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين و صرفهم عن التمسك بنظم الإسلام وسلوكياته.

٢ . التربية والتعليم:

إن بناء الامم وهدمها يأتي من خلال نظامها التعليمي، لأن التعليم وسيلة لبناء الحضارات ودوامها، لذا نجد أن أقوى الوسائل التي استعان بها الغزو الفكري للوصول إلى هدفه هي التربية والتعليم ونشر الثقافة الأجنبية؛ إذ بواسطة ذلك تم الاتصال والدخول إلى المسلمين والعالم الإسلامي من باب يخيل إلى السطحيين من الناس أنه الباب الطبيعي، إذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن، ومن يحارب ذلك الباب يصير جاهلاً رجعيًا.

٣ . هيمنة الغرب على وسائل التقدم والتكنولوجيا:

يعد هذا العصر هو عصر ازدهار التكنولوجيا، بسبب سعة الأفق وقوة التوجه وعمق الأثر، الذي يهدف له هذا التقدم، مما أدى إلى انبهار أبناء المسلمين بهذا التقدم وهذه التكنولوجيا، "فبدء التقليد الأعمى في الهندسة والصناعات المختلفة، وطرز اللبس وأسلوب المعالجة الاجتماعية، فكل شيء غربي هو الأحسن، وكل صناعاته هي الأجود، وكل أدب غربي متميز لأن التقليد والانبهار أغلق عين العربي عن أمته وتراثها، فهو يثق بالغرب بعد أن أحس أنه تخلف فكريًا وعجز علميًا، ولكلما انتشرت حمى التقليد ترتفع مكانة الحضارة الغربية ويصبح الغربي أعلى مكانة" (الحجي، ١٩٨٢م، ص ١٠).

فأصبحت المجتمعات الإسلامية تمجد الحضارة الغربية ومالديهم من تقدم علمي وصناعي وتكنولوجي، فقد استطاع الغرب أن ينقل الإنتاج المادي إلى المجتمعات الإسلامية لاستخدامه في تيسير الحياة، والتغلب على صعوبات المشاق التي تصحب عادة الحياة الإنسانية المختلفة، مما أشعر أبناء هذه الأمة بالهوان والضعف ففتح عن ذلك التبعية والأنقياد.

من سلبيات هذه الهيمنة ما يلي:

- إن هذه الوسائل تسهم في تغيير نمط العقلية والتفكير لدى الأجيال الشابة تجاه هويتهم وعاداتهم وتقاليدهم والانسلاخ منها ومن العقيدة.
 - تحويل ثقافة الجيل من أجيال منتجة إلى أجيال مستهلكة في جميع المجالات.
 - ما ينتج عن هذه التكنولوجيا من أمراض وآثار صحية على المخ والأعصاب.
٤. المرأة المسلمة أمام دعوات التحرير:

تواجه المرأة المسلمة الكثير من الدعوات التحريرية التي تهدف إلى "تخريج جيل من الفتيات المسلمات لا يعرفن من دينهن وتاريخهن شيئاً، يتعلقن بالحياة الغربية تعلقاً كاملاً، يتيح لهن أن ينطلقن في آداب الإسلام وضوابط الشرع باسم التحرير والمساواة والتعليم" (عاشور، ٢٠٠٥م، ص١٠٩).

فالمطلع على ظاهر هذه الحركة هو حرصها الشديد على تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ولكن حقيقة هذه الدعوة وهدفها هو تحرير المرأة من فطرتها التي خلقت من أجلها، ومن الآداب والأحكام الشرعية الخاصة بها مثل الحجاب وآداب الخروج من البيت، ومنع تعدد الزوجات، والمساواة في الميراث وغيرها، واستطاعت هذه الحركة من نشر دعوتها من خلال الجمعيات والاتحادات النسائية في العالم العربي.

فكان الدعم الغربي لدعوى تحرير المرأة المسلمة على ثلاثة أنواع:

١. **الدعم الفكري:** وهو الذي تجلّى في الكتابات الغربية التي تسلط الضوء على وضع المرأة المسلمة وتبرز حقوقها المسلوبة، فنجد العديد من الكتاب الذين تناولوا الحجاب وهجموا عليها وعلى أحكام الإسلام من الميراث للتعدد، والدعوة إلى تحريرها، ونجد الدعم لكل امرأة مسلمة تدعو إلى التحرر من الإسلام وتقاليده والنماذج على ذلك كثيرة.
٢. **الدعم المعنوي:** وهو تشجيع الحركات والجمعيات الداعية إلى تحرير المرأة المسلمة، ومن نماذج هذا النوع من الدعم:

- الدعم المعنوي الذي تلقته هدى شعراوي لدى حضورها المؤتمر الدولي الاول للمرأة في روما، الذي كان من أهدافه منع التعدد، وتعديل قوانين الطلاق، المطالبة بالحقوق الاجتماعية والسياسية، والمساواة في الميراث.
- حضور الدكتورة ريد رئيسة الاتحاد النسائي الدولي إلى مصر، لتدرس عن كثب برقية تأييد للمؤتمر النسائي عام ١٩٤٤م.

٣. **الدعم المادي:** أرسلت بعض الدول الغربية الأموال إلى الجمعيات العربية الداعمة لتحرير المرأة من تقاليد الإسلام.

إن التحرر والاستقلال والتعليم والارتقاء الاجتماعي والنفسي كله من أهداف الإسلام بالنسبة للمرأة المسلمة، ولكنه لا يقوم على أساس انحلالها الخلقي والديني كما هدف اليه الاستعمار الصليبي للقضاء على الإسلام من خلال أبنائه؛ وإنما يقوم على أسسه الرفيعة التي تحقق للفرد البشري أعلى ما في طوقه من الرفعة والتكريم، مع المحافظة على نظافة المجتمع وعَمَار أخلاقه.

ثانياً: إيجابيات الانفتاح الثقافي:

بعد الإشارة إلى السلبيات والمخاطر التي تنتج عن هذا الانفتاح الثقافي على أبناء المسلمين، وجب الحديث عن الإيجابيات حتى لا يكون المرء متشائماً مع الانفتاح، لكن المعادلة صعبة؛ حيث إن التوفيق بين الحفاظ على الهوية الإسلامية والأصالة من جهة والرغبة العارمة في مشاركة العالم تطوره وتقدمه من جهة ثانية، جعل الوضع في معادلة صعبة يتطلب من حلها بذكاء وروية، كي لا نسقط في أحد خطرين، إما الانعزال والتخلف، وإما الانزلاق والتسيب، وهما أمران أحلاهما مر. هذا، ويسهم هذا الانفتاح في انتشار وسائل التعليم الحديثة، كالتعليم المفتوح والتعليم عن بعد.

ومن هذه الإيجابيات ما يلي:

١. نشر الإسلام:

يتيح الانفتاح فرصًا كبيرة للدعاة والمربين لتبليغ الدين الإسلامي، وتخليص العالم من الظلام، باستخدام وسائل الإعلام التي جعلوها وسائل هدم فعليهم جعلها معاول بناء فهي أسلحة ذات حدين، فلقد بذل بعض المصلحين التربويين من أبناء الأمة مجهودات كبيرة ونافعة في هذا المجال، نفع الله بهم مثل إذاعات القرآن الكريم والبرامج الدينية والتربوية التي يسمعونها الملايين. بالإضافة إلى مواقع الإنترنت وبرامج السوشيال ميديا، التي يجب استغلالها في نشر محاسن الإسلام وأخلاق معتنقيه وقيمهم وعقيدتهم.

٢. ربط الفرد المسلم بقضايا الأمة:

من إيجابيات هذا الانفتاح، أن يعلم المسلمون بكل الأحداث التي تحدث للبلاد الإسلامية من سراء أو ضراء، فالأمة الإسلامية كالجسد الواحد، مما يدعو للتكاتف والتعاقد فيما بينها أمام الأعداء لحمايتها وحماية أبنائها وعقيدتها وحضارتها.

٣. التواصل الثقافي والاجتماعي:

إن التواصل ضرورة اجتماعية واقتصادية واجتماعية ونفسية، فلا يمكن للبشرية أن تعيش بمنأى عن وسائل التواصل والاتصال، فنجد أن وسائل الإعلام والتلفزيون في مقدمتها تقوم بدور كبير ومحوري في حياة الأمة؛ حيث تعمل على تربية وتنقيف أبناء المجتمع عامة، وهو ما يطلق عليه التربية الخارجية اللامدرسية، التي تكون في بعض الحالات أعظم أثرًا في نفوس الأطفال والكبار من التربية المدرسية وعلى سبيل المثال: فإن وسائل الإعلام تقوم بدور خطير في عملية التطبيع الاجتماعي، فمما لاشك فيه أن قيام وسائل الإعلام بنقل أنماط السلوك المقبولة والقيم الأصيلة النابعة من العقيدة الصحيحة ومساندتها، يؤدي إلى أن يمتص الطفل هذه القيم والمعايير الاجتماعية، ومن ثم يكون شخصية ذات سمات معينة.

إن إيجابيات التواصل الثقافي، لا تخفى على أحد، فوحدة الفكر وانتقال الحضارات والحفاظ عليها، تعتمد على وسائل الانفتاح إذا تم توجيهها التوجيه السليم؛ مما يدعونا إلى إعادة النظر في منهجية التفكير والتواصل والتغيير ضمن إطار من الثوابت والقيم، بحيث نستطيع أن نخرج بأقل الخسائر، بل ونجني العديد من الثمار الطيبة لمنهجية فكرية جديدة، تدفعنا للتطوير، ولا تتعارض مع روح حضارتنا وديننا الحنيف.

٤. التقدم التكنولوجي في توفير المعلومات:

إن التكنولوجيا عبارة عن دائرة معارف عملاقة، يمكن الحصول على المعلومات عن أي موضوع من خلال وسائلها المرئية والمسموعة، وبفضل هذا التطور التكنولوجي في عالم الاتصالات والعلوم؛ أُتِيحت الفرصة للجميع التعلم ونهل المعلومات والعلوم في أي مكان وزمان، وخاصة لأولئك الأشخاص الذين لم يستطيعوا أن يحظوا بهذه الخدمة نظرًا لضيق الوقت أو بعد المكان، أو صعوبة الإمكانية في وقت من الأوقات؛ مما أدى إلى انتشار العلم والمعرفة، وبالتالي أسهم هذا التطور بشكل كبير في تحسين الخدمات المقدمة في جميع المجالات، فأصبح من السهولة الحصول على قدر كبير من المعلومات في وقت وجيز والانفتاح على مختلف الثقافات، والتعلم والتعرف على مختلف لغات العالم، وتبادل العلوم والمعرفة مع مختلف الأفراد من أنحاء العالم، وتدني التكاليف، وريح الوقت لعدم التنقل.

وقد جاء الإسلام بدعوة عامّة عالمية، والمسلمون مطالبون بأن يدعوا العالم كلّهُ ويؤدوا رسالتهم التي أمروا بها، فهم مسؤولون أمام الله تعالى يوم القيامة عن ظلال كثير من هذه الأمم، لأنهم لم يبلغوا الرسالة التي أمروا بتبليغها، فهناك العديد من عرف عن الإسلام خلاف ما يدعو إليه، كل ما عندهم عن الإسلام صور مشوّهة عن حقيقة هذه العقيدة الوسطية العظيمة، وهؤلاء معذورون لأنهم لم تبلّغهم دعوة الإسلام بلوغاً مشوّقاً، كما بلغتنا مما يحملهم على البحث والنظر وراء هذه الدعوة، فنحن بحكم دعوتنا العالمية مطالبون بأن نفتح على الغرب، لندعوه إلى هذا الدين، فإذا أغلقتنا الجسور بيننا وبينه لم تحدّث دعوة، لذلك لا بد أن نفتح على الغرب كما نفتح على غيره.

ثالثاً: العوامل المؤثرة على الانفتاح الثقافي:

لقد كان تعدد العوامل والاتجاهات نحو الانفتاح الثقافي هو الرياح التي أدارت شراع سفينة الحضارة، فمنها ما كانت رياحه هادفة قادة السفينة إلى الازدهار والتقدم، ومنها رياح عاصفة تتلاعب بالسفينة حتى أغرقتها في الظلام، ومنها ما جعلت السفينة تسير إلى الخلف، فتاه وضل الطريق.

فعددت العوامل المؤثرة في الانفتاح الثقافي واختلفت باختلاف الإنسان والعقيدة والقيم والتراث والبيئة والتعليم. ومن هذه العوامل ما يلي:

● عامل العقيدة:

ذلك أنه لا انفتاح ثقافي، ولا قيام لأي حضارة دون عقيدة تبنيها وتدفعها وتغذيها، فنجد أن الشريعة الإسلامية تقدم نظام متكامل للحياة الإنسانية، والسياسية والاقتصادية والحياة الاجتماعية، للارتقاء بروح الإنسان وصياغة مجتمع العدالة والمساواة.

إن الإسلام عقيدة ومنهج ربّاني، نزل من عند الله على نبيه مُحَمَّد ﷺ، بكل خصائصه وبكل مقوماته وتلقاه المسلم كاملاً بخصائصه هذه ومقوماته، لا ليزيد عليه من عنده شيئاً، ولا لينقص كذلك منه شيئاً، ولكن ليتكَيَّف هو به، وليطبق مقتضياته في حياته، لأن المصدر الذي أنشأ هذا التصوُّر هو الخالق المدبِّر الذي يعلم طبيعة هذا الإنسان، وحاجات حياته المتطورة في كل زمان ومكان.

إن الاعتزاز بالإسلام والانتماء إليه هو المؤثر الأول في صنع الثقافة الإسلامية، فالإسلام حدّد الأهداف ورسم المناهج، فالاعتزاز بالإسلام واجب على كل مسلم رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ - نبياً رسولا.

● عامل الإنسان:

إن أساس قيام الحضارات وانفتاحها الثقافي يقوم على عامل الإنسان، فنجد أن الإسلام اهتم بالإنسان ليكون صانعاً لحضارتها الممتدة إلى آفاق رحبة متسعة، إذ حرص الإسلام على أن يعرف

الإنسان أن جميع البشر متساوون بغض النظر عن اللون والجنس والعقيدة، فالجميع سواسية أمام قانون الله رحيم أساسه العدل، فحرص الإسلام على تكوين إنسان ذو شخصية متوازنة، سوي النفس، لا يطغيه الغنى، ولا ينسيه الفقر، لا يستخفه النصر ولا تسحقه الهزيمة، ولا تبطره النعمة، مطمئن القلب والروح.

• عامل العلم:

دعا الإسلام أبنائه إلى الأخذ بأسباب العلم بالشمولية والعلو وفق المتغيرات النسبية، ليتناسب مع كل زمان ومكان، فالباحث في آيات القرآن نجد أن آياته تتميز بتوجيهين الأول دعوة الإنسان إلى تبصر والتدبر بآيات الله في الكون والنظر فيها، والتبصر في نفسه، والثاني الإشارة إلى حقائق علمية.

الخاتمة

من خلال هذا البحث، أمكن للباحثة الوصول إلى بعض النتائج، من أهمها:

- برزت قضية الهوية بالنسبة للمجتمعات الإسلامية في العصر الحديث وحتى العصر الراهن بفعل عوامل الانفتاح على الحضارة الغربية، وصولاً إلى عصر العولمة وثورة تقنية المعلومات والاتصال الحديثة، متخذة صوراً وأشكالاً عديدة.
- بما أن هوية كل أمة تمتد بدءاً من عقائدها الدينية، وما يتشكل عنها من مظاهر وخصائص وسمات، كالأعياد، والممارسات الدينية، والأزياء والملابس، والعادات والطبائع، والنظم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية وغير ذلك؛ فإن التعليم يعد الأداة الأولى والأهم لغرس الهوية وترسيخ الشعور بالانتماء إلى الأمة في ضمائر الصغار والنشء، وتحويله إلى وعي خلاق ومبدع.

- بما أن الإسلام هو دين الفطرة؛ فإنه يشكل بعاملته وشمولية رسالته دعوة خالصة إلى الانفتاح على ثقافات الآخرين، والتأثير فيها والتأثر الإيجابي بها؛ ذلك أن من طبيعة البشر وفطرتهم التفاعل والتبادل في كل مستويات العلاقات التي تنشأ بينهم.
- أن المؤسسات التربوية بل وكافة عناصر المنظومة التربوية هي المعني الأول بتحقيق ذلك التوازن في تحقيق الانفتاح الثقافي، والحفاظ على الهوية الإسلامية.
- وتعدُّ التربية بمثابة أداة الأمة ووسيلتها لتحقيق أهدافها التربوية في بناء الإنسان وإعداده للمشاركة بفعالية في بناء الأمة وحماية هويتها العقديّة وصيانة كيانها الحضاري، بما يعكس رسالتها ويحقق أهدافها وغاياتها، ويحافظ على تميزها واستمرارها.
- إن للانفتاح الثقافي أهمية تربوية جلية وواضحة الأثر على الأمم والشعوب؛ لما له من دور في تحقيق التجديد التربوي وفق المنهج الإسلامي، ليسير بالإنسان نحو الأفضل والأكمل ويؤدي لتطوير العملية التربوية في إطار حضاري، بعيداً عن الانغلاق والعدائية والهمجية.
- أصبح الانفتاح الثقافي واحداً من أهم الانشغالات التي يعنى بها الفكر الإنساني المعاصر، بالتوازي مع انشغالات أخرى بقضايا التنوع الثقافي.
- أن القرآن الكريم كان ولا يزال يطلع أبنائه على الحضارات التي سبقتهم واندثرت، وعلى ديانات مضت، وعلى أمم معاصرة نشأة مع الإسلام، مثل الروم وفارس، ويسوق القرآن من قصصهم وحياتهم وسلوكهم وعاداتهم وفساد منهجهم ما فيه عبرة لأصحاب العقول.
- أن هذه الاستفادة من غير المسلمين والانفتاح الثقافي على مختلف الثقافات يجب أن يستند على قيم ثابتة نابعة من مصادر الشريعة منسجمة مع قوانين الفطرة محترماً للعقول البشرية.
- تضع السيرة النبوية المعالم البارزة للانفتاح الثقافي على الأمم الأخرى، وهذا يدل أكثر عندما استفاد المسلمون من أسرى المشركين في غزوة بدر في تعليم أبناء المسلمين الكتابة.
- إن انفتاح الرسول -ﷺ- على الثقافات الأخرى، والدعوة إلى الاستفادة منها في المجالات الدنيوية دلالة على النظرة الإيجابية في تحقيق مصالحها لبناء الحضارة وقيامها وانتشارها.

- يتيح الانفتاح فرصًا كبيرة للدعاة والمربين لتبليغ الدين الإسلامي، وتخليص العالم من الظلام، باستخدام وسائل الإعلام التي جعلوها وسائل هدم فعليهم جعلها معاول بناء فهي أسلحة ذات حدين، فلقد بذل بعض المصلحين التربويين من أبناء الأمة مجهودات كبيرة ونافعة في هذا المجال.
- إن الاعتزاز بالإسلام والانتماء إليه هو المؤثر الأول في صنع الثقافة الإسلامية، فالإسلام حدّد الأهداف ورسم المناهج، فالاعتزاز بالإسلام واجب على كل مسلم رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ ﷺ - نبيًّا رسولاً.

أهم المراجع

- آل غائب، سعد بن سعيد. (١٤١٩هـ). تطوير خطة النشاط اللاصفي في المدارس الثانوية بالمملكة العربية السعودية في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية. جامعة الملك سعود. الرياض.
- البشري، عايش بن عطية. (١٤٢٧هـ). دور المدرسة الثانوية في اعداد طالب المستقبل في ظل التحديات المعاصرة. رسالة دكتوراة غير منشورة. كلية التربية. جامعة أم القرى.
- الحارثي، صلاح بن ردود بن حامد. (١٤٢٢هـ). دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعوامة. رسالة ماجستير. مكة المكرمة. جامعة أم القرى.
- حامد، كمال عجمي (٢٠٠٢): الهوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، مصر.
- الخويطر، شمس. (١٤٢٨هـ). دور المدرسة الثانوية في تأصيل الهوية الثقافية الإسلامية للطالبات. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية. جامعة الامام مُجَّد بن سعود الإسلامية. الرياض.
- زمران، مُجَّد (٢٠١٤). الثقافة الإسلامية والانفتاح على الآخر - مقارنة في الأبعاد والشروط والتفاعلات. مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر: "الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة. رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة، ٢٨ - ٣٠ سبتمبر.
- الطويرقي، سالم عبد الله. (١٤١٠هـ). مدركات المرشدين المدرسين لطبيعة العمل الارشادي في المدارس المتوسطة والثانوية في منطقتي مكة المكرمة وجدة. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
- عبد الرحمن، برهان حافظ (٢٠١٠). دور التعليم العالي في تعزيز الهوية الفلسطينية وأثره على التنمية السياسية من وجهة نظر الطلبة والعاملين - جامعة النجاح أُمُوذَجًا. رسالة ماجستير. جامعة النجاح الوطنية. نابلس - فلسطين.
- العبد، وارم (٢٠١٠). البعد الثقافي للعوامة وأثره على الهوية الثقافية للشباب العربي - الشباب الجامعي الجزائري - نموذَجًا - مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البشير الإبراهيمي - برج بوعرييج - الجزائر، العدد (٢).
- عدوان، نار يمين. (٢٠٠٨م). ملامح الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، الجامعة الإسلامية. غزة.

- العمرو، د. صالح بن سليمان بن صالح (٢٠١٢). تحديات العولمة الثقافية ودور التربية الإسلامية في مواجهتها، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، المجلد الرابع، العدد الأول، محرم ١٤٣٣هـ - يناير ٢٠١٢.
- العنزي، بدور. (١٤٣٦هـ). الانفتاح الثقافي وآثره على القيم الاجتماعية والهوية الوطنية للطلبة الجامعية السعودية. رسالة ماجستير. كلية الآداب، جامعة الملك سعود. الرياض.
- القرني، حسن عبد الله. (١٤٣١هـ). مسؤولية المدرسة الثانوية في المحافظة على الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية. رسالة الدكتوراة العالمية. كلية الدعوة وأصول الدين. الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة.
- القرشي، خلف. (١٤٢٩هـ). منهجية التغيير الاجتماعي للتربية من منظور إسلامي وتطبيقاتها في مجال العلاقات الاجتماعية المدرسية. رسالة دكتوراة. كلية التربية. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
- كنعان، د. أحمد علي (٢٠٠٤): دور التربية في مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة، ندوة العولمة وأولويات التربية، كلية التربية بجامعة الملك سعود، الرياض، ١٧-١٨ ابريل ٢٠٠٤.